

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي
قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: 58-59]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ تَظْلِيلَهُمْ بِالْغَمَامِ، وَإِكْرَامَهُمْ بِالْمَنِّ وَالسَّلَوى،
وَهُمَا مِنَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ؛ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَزِيَادَةِ أَجْرِ الْمُحْسِنِينَ، وَهُمَا مِنَ
النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ^(١).

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(١) ﴿الْقَرْيَةَ﴾: الْقَافِ وَالرَّاءُ وَالْيَاءُ، تَدُلُّ تَصَارِيفُهَا عَلَى جَمْعٍ وَاجْتِمَاعٍ^(٢)، يُقَالُ: قَرَى
الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ، أَي: جَمَعَهُ^(٣)، وَيُقَالُ لِلْمَدِينَةِ: قَرْيَةٌ؛ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا^(٤).
وَلِلْقَرْيَةِ إِطْلَاقَاتٌ ثَلَاثَةٌ^(٥):

أَوَّلُهَا: عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ.
ثَانِيهَا: عَلَى النَّاسِ الْمُجْتَمِعِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.
ثَالِثُهَا: عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ وَعَلَى النَّاسِ مَعًا.
فَدَلَالَةُ الثَّلَاثِ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي.
وَتُطْلَقُ الْقَرْيَةُ عَلَى الْبَلَدَةِ الصَّغِيرَةِ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَسْوَارِ وَالْأَبْوَابِ كَمَا
أُرِيدَ بِهَا هُنَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾.

(١) البقاعي، نظم الدرر: 401-390/1.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قري).

(٣) القاضي عياض، مشارق الأنوار: (قري).

(٤) النحاس، معاني القرآن: 3/57.

(٥) الزاغبي، المفردات: (قري).

والمراد بالقرية في الآية: (بيت المقدس).

(2) ﴿سُجَّدًا﴾: السَّيْنُ وَالْجِيمُ والدَّالُّ تَدُورُ تصاريْفُهَا عَلَى الدُّلِّ وَالتَّطَامُنِ، أَي: الانْخِفَاضِ⁽¹⁾، يُقَالُ: سَجَدَتِ الدَّابَّةُ؛ إِذَا خَفَضَتْ رَأْسَهَا؛ لَتَرَكَبَ⁽²⁾، وَنَحَلَهُ سَاجِدَةً؛ إِذَا أَمَالَهَا حِمْلُهَا⁽³⁾.

وَالسُّجُودُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى وَضْعِ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ⁽⁴⁾، وَبِمَعْنَى: الانْحِنَاءِ⁽⁵⁾، وَمِنْ الانْحِنَاءِ تَسْمِيَةُ الرُّكُوعِ: سُجُودًا⁽⁶⁾، وَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي أَصْلِ الانْحِنَاءِ، وَإِنْ كَانَ السَّاجِدُ أَشَدَّ انْحِنَاءً مِنَ الرَّائِعِ⁽⁷⁾.

وَالسُّجْدُ: جَمْعُ سَاجِدٍ، كَالرُّكُوعِ: جَمْعُ رَاكِعٍ، وَالْمُرَادُ بِالسُّجُودِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَادْخُلُوا آلَ الْبَابِ سُجَّدًا﴾ الْخُضُوعُ، وَالْمَعْنَى: ادْخُلُوا مُنْحَنِينَ خَاضِعِينَ⁽⁸⁾.

(3) ﴿حِطَّةً﴾: الْحَاءُ وَالطَّاءُ انْ تَدُورُ تصاريْفُهَا عَلَى انْزَالِ شَيْءٍ مِنْ عُلُوٍّ⁽⁹⁾، وَمِنْهُ حَطُّ الْأَحْمَالِ عَنِ الدَّوَابِّ⁽¹⁰⁾؛ أَي: وَضَعُهَا عَنْ ظَهْرِهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَمِنْهُ: حَطُّ الْأَوْزَارِ⁽¹¹⁾؛ بِمَعْنَى: مَغْفِرَتِهَا؛ لِأَنَّ الْوِزْرَ يُثْقِلُ الْعَبْدَ، فَإِذَا غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ ذَنْبَهُ؛ فَقَدْ خَفَّفَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ ثَقِيلًا، كَالدَّوَابِّ الَّتِي تُحَطُّ عَنْ ظَهْرِهَا الْأَحْمَالُ. وَالْحِطَّةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ أَي: قُولُوا: حُطَّ عَنَّْا ذُنُوبُنَا؛ أَي: اغْفِرْهَا⁽¹²⁾.

(4) ﴿نَغْفِرَ﴾: الْغَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ تَدُورُ أَكْثَرُ اسْتِقَاقَاتِهَا عَلَى مَعْنَى: السَّتْرِ، وَمِنْهُ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سجد).

(2) الأنباري، الرُّاهِز: 1/47.

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (سجد).

(4) ابن سيده، للخصص: 4/57.

(5) ابن القطّاع، كتاب الأفعال: 2/125.

(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (سجد).

(7) ابن جرير، جامع البيان: 2/105.

(8) الشَّيْطَانِي وَالْحَلِّي، تفسير الجلالين، ص: 13، والسَّعْدِي، تفسير الكريم الرَّحْمَن، ص: 53.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حط)، والرَّاعِب، للفردات: (حط).

(10) الخليل، العين: (حط).

(11) الرَّمْخَسَرِي، أساس البلاغة: (حطط).

(12) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 50، وابن الأثير، النُّهَيْة: (حطط).

الْغَفْرُ؛ وهو السَّتْرُ⁽¹⁾، وقال الرَّاعِبُ: "الْغَفْرُ: الْبَاسُ مَا يَصُونُهُ عَنِ الدَّنَسِ"⁽²⁾، وهو راجعٌ إلى معنى السَّتْرِ.

والمغفرة شرعاً: سَتَرُ الذَّنْبِ والتَّجَاوُزُ عَنْهُ⁽³⁾.

(5) ﴿خَطَايَكُمْ﴾: الخاء والطاء والهمزة تدلُّ اشتقاقها على تخطي موقع الشيء أو تجاوزه باندفاع⁽⁴⁾، وَمِنْهُ: الخطأ، وهو العدولُ عَنِ الجَهَةِ، وهو ثلاثة أضرِب⁽⁵⁾: الأول: أن يُريدَ أحدٌ غيرَ ما تحسَّنَ إِرَادَتُهُ، فيفعله، وهذا يُؤَاخِذُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيُقَالُ فِيهِ: خَطِئَ يَخْطِئُ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: 36-37].
الثاني: أن يُريدَ ما يحسَّنَ فعله، ولكن يقَعُ مِنْهُ خِلافٌ ما يُريدُ، فيقال: أَخْطَأَ يَخْطِئُ، وهذا رُفِعَتْ المؤاخِذَةُ بِهِ عَنِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286]، وقد جاء في صحيح مُسْلِمٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»⁽⁶⁾.
الثالث: أن يُريدَ ما لَا يحسَّنُ فعله، ولكن يقَعُ مِنْهُ خِلافُهُ عَلَى وَجْهِ صَوَابٍ، فهذا مُخْطِئٌ فِي إِرَادَتِهِ، فَيُؤَاخِذُ بِقَصْدِهِ، وَلَا يَثَابُ عَلَى فِعْلِهِ.

والخطايا جمع خطيئة، والمراد بها في قول الله تعالى: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾: الذُّنُوبُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهَا التَّكْوِيلَ⁽⁷⁾.

(6) ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: مَادَّةُ الْحَاءِ وَالسَّيْنِ وَالنُّونِ تدلُّ عَلَى ضِدِّ الْقُبْحِ⁽⁸⁾، وَالْمَحَاسِنُ مِنَ الْأَعْمَالِ: ضِدُّ الْمَسَاوِي، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْجَنَّةُ: الْحُسْنَى؛ ضِدُّ السُّوَاىِ وَهِيَ النَّارُ⁽⁹⁾.
وَالْحَسَنُ: كُلُّ مُبْهَجٍ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَالْحَسَنَةُ يُعْبَّرُ بِهَا عَنْ كُلِّ مَا يَسُرُّ مِنْ نِعْمَةٍ تَنَالُ الْعَبْدَ فِي نَفْسِهِ أَوْ بَدَنِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ - وَالسَّيِّئَةُ ضِدُّهَا⁽¹⁰⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفر).

(2) الزاغب، للفردات: (غفر).

(3) ابن عثيمين، القول المفيد: 1/85.

(4) جبل، للعجم الاشتقاقِيّ لِلْوَصْلِ: (خطأ).

(5) الزاغب، للفردات: (خطأ).

(6) رواه مسلم، حديث رقم: (126).

(7) محمّد الأمين الشنقيطي، العذب الثمير: 1/114.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن).

(9) الخليل، العين: (حسن).

(10) الزاغب، للفردات: (حسن).

وَالْإِحْسَانُ: ضِدُّ الْإِسَاءَةِ⁽¹⁾، وَحَدُّ الْإِحْسَانِ شَرْعًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»⁽²⁾.

وفي معنى (المحسنين) المذكورين في قول الله تعالى: ﴿وَسَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أقوالٌ، أَصَحُّهَا: أَنَّ (المحسنين): هُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، فَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ مِرَاقِبَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِهِمْ⁽³⁾.

(7) ﴿رَجْزًا﴾: الرِّاءُ وَالْجِيمُ وَالزَّايُّ تَدُورُ تَصَارِيفُهَا عَلَى ارْتِعَادٍ عِنْدَ النُّهْوضِ أَوْ الْحَمَلِ؛ بِسَبَبِ الثَّقَلِ الْعَظِيمِ، وَمِنْهُ: الرَّجْزُ؛ وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُثْقِلُ الْمَعْجِزُ⁽⁴⁾، يُقَالُ: نَاقَةٌ رَجَزَاءٌ؛ وَهِيَ الَّتِي يَرْعُدُ فَخْذُهَا أَوْ عَجْزُهَا حِينَ تَقُومُ⁽⁵⁾، أَوْ هِيَ: الَّتِي تَقَارِبُ خَطُوهَا وَاضْطَرَبَ؛ لُضْعَفٍ فِيهَا⁽⁶⁾.

وَالرَّجْزُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: الْعَذَابُ⁽⁷⁾.

(8) ﴿يَفْسُقُونَ﴾: الْفَاءُ وَالسَّيْنُ وَالْقَافُ تَدُورُ تَصَارِيفُهَا عَلَى خُرُوجٍ عَنِ مُحِيطٍ، كَالْكِمَامِ لِلثَّمَرَةِ، وَالْجُحْرِ لِلْفَارَةِ⁽⁸⁾، يُقَالُ: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ؛ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَشْرِهَا⁽⁹⁾.

وَيُطْلَقُ الْفِسْقُ فِي الشَّرْعِ: عَلَى الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ⁽¹⁰⁾؛ فِعْلًا لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُ أَوْ تَرْكًا لِلْمَأْمُورِ بِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

واذكروا - يا بني إسرائيل - من نَعَمْنَا عَلَيْكُمْ حِينَ قُلْنَا لَكُمْ: ادخلوا بيت المقدس، فكلوا مما فيه أكلاً هنيئاً واسعاً غير مضيقٍ عليكم فيه، وكونوا في دخولكم له خاضعين لله تعالى، واسألوا الله قائلين: رَبَّنَا حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا، نَسْتَغِبْ لَكُمْ، فَتَجَاوِزْ عَنْكُمْ، وَنَسْتَرْ

(1) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ: (حسن).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (50)، وَمُسْلِمٌ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (9).

(3) ابْنُ تَيْمِيَّةَ، الْإِيمَانُ، ص: 281، وَمُحَمَّدُ الْأَمِينُ السَّنْقِيطِيُّ، الْعَذَابُ الثَّمِيرُ: 115-114/1.

(4) جَبَلٌ، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوَضَلِ: (رجز).

(5) أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ، التَّلْخِصُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ، ص: 359.

(6) الرَّاعِبُ، الْمِفْرَدَاتُ: (رجز).

(7) ابْنُ قُتَيْبَةَ، غَرِيبُ الْقُرْآنِ، ص: 50.

(8) الْمُنَاوِيُّ، التَّوْقِيفُ عَلَى مَهَمَّاتِ التَّعَارِيفِ، ص: 260.

(9) الْأَنْبَارِيُّ، الرَّاهِرُ: 1/120.

(10) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (فسق).

ذُنُوبِكُمْ، وسنزيد الذين أحسنوا في أعمالهم خيراً وثواباً عاجلياً
وآجلياً جزاءً على إحسانهم.
فبدّل أهل الظُّلُمِ مِنْهُمْ ما أمروا به مِنَ القول والعمل؛ فقالوا:
(حِطَّةٌ) بدلاً من (حِطَّةٌ)، ودخلوا زاحفين على استاهيهم، فعاقبهم
الله تعالى بأن أنزل عليهم مِنَ السَّمَاءِ عذاباً شديداً؛ بسبب خُرُوجِهِمْ
عن طاعة الله تعالى واستهزائهم بأمره سبحانه⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغويّ والبلاغيّ:

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا﴾:

التَّعْبِيرُ بِ (نَا) الدَّالَّةِ عَلَى الْعَظَمَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾
إشعاراً بتعظيم القول وتشريفه والاهتمام به، وفي هذا إيماءٌ إلى
أهمية الأمر المذكور بعد، وأنه جديرٌ بتوجُّهِ العناية إِلَيْهِ.

أَوْامِرُ اللَّهِ تَعَالَى
جَلِيلَةُ الْقَدْرِ،
جَدِيرَةٌ بِالْاعْتِنَاءِ

دلالة اسم الإشارة ﴿هَذِهِ﴾:

اسمُ الإشارةِ ﴿هَذِهِ﴾ دالٌّ على القريب الحاضر، وفيه إشارةٌ
إلى أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِدُخُولِهَا عِنْدَ مَقَارِبَتِهِمْ لَهَا وَمَعَايِنَتِهِمْ إِيَّاهَا⁽²⁾؛ ففيه
تصويرٌ لحالِ بني إِسْرَائِيلَ عِنْدَ تَلَقِّيِ الْخُطَابِ.

الْأَمْرُ بِدُخُولِ
الْقَرْيَةِ كَانَ عِنْدَ
مُقَارِبَتِهِمْ لَهَا

دلالة الأمر في قوله: ﴿فَكُلُوا﴾:

الأمر في قول الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يُرَادُ بِهِ الْإِبَاحَةُ وَالِامْتِنَانُ،
وَيَقْوَاهُ وَجْهَانُ:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، ففيه عُمُومُ الْإِبَاحَةِ وَالِإِذْنِ؛
إِذْ إِنَّ مَشِيئَتَهُمْ غَيْرُ مُنْخَصِرَةٍ.

عَظُمُ مَنَّةِ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ

والآخر: قوله تعالى: ﴿رَعَدًا﴾، ففيه الامتنان؛ إِذْ جَعَلَ أَكْلَهُمْ
هَنِيئاً وَاسِعاً غَيْرَ مُضَيِّقٍ عَلَيْهِمْ فِيهِ.

(1) أبو اللفظ السمعاني، تفسير القرآن: 84-1/83، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 279-1/273، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 53، ونخبة من العلماء، التفسير المبسّر، ص: 9.

(2) أبو حيّان، البحر للحيط: 1/357.

دِقَّةُ التَّعْبِيرِ
الْقُرْآنِيِّ فِي
تَقْدِيمِ اللَّفْظِ
الْأَنْسَبَ لِسَيَاقِهِ

تَوْجِيهُ الْمُتَسَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

قُدِّمَ الظَّرْفُ ﴿حَيْثُ﴾ - ههنا - على الرَّغْدِ، فقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، وفي قِصَّةِ آدَمَ ﷺ المتقدِّمة قُدِّمَ الرَّغْدُ على الظَّرْفِ، فقال سبحانه: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وذلك أَنَّ الرَّغْدَ من صفاتِ الأكلِ أو الآكلِ، فتقدِّمُهُ في قِصَّةِ آدَمَ ﷺ ظاهرة؛ لأجل أن يكون قريباً من عاملِهِ من غير فاصلٍ بينهما، وأمَّا تأخيرُهُ ههنا؛ فلأجل التَّنَاسُبِ الصوتِيِّ بين نِهَايَتِي الجُمْلَتَيْنِ؛ وهما: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ و﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾⁽¹⁾.

دلالة اللَّامِ في ﴿الْبَابِ﴾:

اللامُ في ﴿الْبَابِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ لِلْعَهْدِ، أي: باب القرية التي أمروا بدخولها؛ وهي بيت المقدس⁽²⁾.
ويَحْتَمِلُ أن تكون اللَّامُ عوضاً عن مضافٍ إليه، والتَّقدير: وادخلوا بابها، أي: باب القرية.

دلالة تَنْكِيرِ ﴿حِطَّةٌ﴾:

تَنْكِيرُ ﴿حِطَّةٌ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يُرَادُ به التَّعْظِيمُ⁽³⁾، أي: احطُطْ عَنَّا خطايانا حطاً عظيماً، وفي دلالة ذلك على التَّعْظِيمِ: إيماءٌ إلى عِظَمِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ لذنوب عباده، وبيانٌ لجزيلِ الكرمِ الإلهيِّ في التجاوزِ عن خطاياهم.
سِرُّ التَّعْبِيرِ بِ(نَا) الدَّالَّةِ عَلَى الْعِظَمَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿نَغْفِرَ لَكُمْ﴾: جاء التَّعْبِيرُ بِ(نَا) المفيدةِ الْعِظَمَةِ في قول الله تعالى: ﴿نَغْفِرَ لَكُمْ﴾؛ لِلإِيمَاءِ إِلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، ولو كان

اسْتِشْعَارِ عِظَمِ
الْكَرَمِ الْإِلَهِيِّ

إِلَهُ ﷻ لَا
يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ
أَنْ يَغْفِرَهُ

(1) أبو حَتَّان، البحر المحيط: 1/357-358.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/132.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 1/394.

شِرْكًا كَاتِّخَاذِ الْعَجَلِ إِلَيْهَا؛ إِذَا تَابَ صَاحِبُهُ مِنْ ذَلِكَ⁽¹⁾، وَفِيهِ إِمَّا حٌ إِلَى تَكَرُّرِ الْعَفْوِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَمَلُ مِنْ مَغْفِرَةِ ذُنُوبِ عِبَادِهِ مَعَ كَثَرَتِهَا.

تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾، ﴿يُغْفِرْ لَكُمْ﴾، ﴿تُغْفِرْ لَكُمْ﴾:

قُرِئَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ عَلَى خِلَافٍ فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ ﴿يُغْفِرْ لَكُمْ﴾، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِالتَّاءِ ﴿تُغْفِرْ لَكُمْ﴾، وَنَكْتَةُ بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ: أَنَّهُ "إِشَارَةٌ إِلَى تَحْقِيرِ الذَّنْبِ إِذَا أَرَادَ غُفْرَانَهَا، بَحِثْ إِنَّهُ بَادِنِي أَمْرٍ وَأَدَقُّ إِشَارَةً يَمْحُوهَا، وَهِيَ أَقْلٌ مِنْ أَنْ يُبَاشِرَهَا بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ، كُلُّ ذَلِكَ اسْتِعْطَافٌ إِلَى التَّوْبَةِ"⁽²⁾.

وهذان الوجهان - ﴿يُغْفِرْ لَكُمْ﴾ و﴿تُغْفِرْ لَكُمْ﴾ - مع وجه قراءة الفعل بالبناء لِلْفَاعِلِ - ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ﴾⁽³⁾ - متوافقان؛ فَإِنَّ الذَّنْبَ قَدْ يُعْظَمُ الشَّرْعُ، وَيُعْظَمُ عِنْدَ مَرْتَبِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ أَنْ يَغْفِرَ ذَلِكَ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ سَتْرَهَا وَمَحْوَهَا هَيِّنٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ جَمْعِ الْكَثْرَةِ ﴿خَطَايَكُمْ﴾:

جاء التَّعْبِيرُ بِجَمْعِ الْكَثْرَةِ ﴿خَطَايَكُمْ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ - هَهُنَا - جَاءَ لَتَعْدَادِ النِّعَمِ؛ فَحَسُنَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الذَّنْبَ كَثُرَ صَدُورُهَا مِنْهُمْ، حَتَّى كَانَتْهُمْ جَعَلُوا مُقَابِلَ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْهِمْ ذَنْبًا، وَهَذَا إِغْرَاقٌ فِي الْعَصْيَانِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُهَا، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ⁽⁴⁾.

التَّكْمُلُ الدَّلَالِيُّ
بَيْنَ الْقِرَاءَاتِ
الْقِرَآئِيَّةِ

عَظِيمٌ إِحْسَانُ
اللَّهِ تَعَالَى يَغْفِرُ
الذَّنْبَ؛ وَإِنْ
كَثُرَتْ

(1) اليقاعي، نظم الدرر: 1/395.

(2) اليقاعي، نظم الدرر: 1/395.

(3) وهي قراءة جمهور القراء، ينظر ابن الجزري، النشر: 2/215.

(4) اليقاعي، نظم الدرر: 1/396-397.

حَذَفُ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِلْفِعْلِ (نَزِيدُ):

حُذِفَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِلْفِعْلِ (نَزِيدُ) مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، للدلالة على العموم؛ إذ إنَّ حَذَفَ الْمَعْمُولِ مُؤَذِّنٌ بِهِ، والتقدير: وسنزيدُ المحسنين من خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ⁽¹⁾.

دلالة اللَّامِ فِي «الْمُحْسِنِينَ»:

اللَّامُ فِي «الْمُحْسِنِينَ» يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلْكَمَالِ، أَيْ: هُمْ كَامِلُونَ الْإِحْسَانَ الْبَالِغُونَ فِيهِ غَايَتَهُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، أَيْ: الَّذِينَ أَحْسَنُوا، فَيَصْدُقُ عَلَى مَنْ اتَّصَفَ بِمَطْلَقِ صِفَةِ الْإِحْسَانِ؛ وَلَوْ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْوَصْفُ عِنْدَهُ الْكَمَالُ، وَهَذَا أَلْيَقُ بِمَقَامِ الْإِمْتِنَانِ وَأَنْسَبُ لَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ بَعَادِهِ؛ حَيْثُ يُجَازِيهِمْ عَلَى الْعَمَلِ الْيَسِيرِ الثَّوَابُ الْجَزِيلَ.

نُكْتَةُ التَّغْيِيرِ عَنِ الْمُخَالَفَةِ بِالتَّبْدِيلِ:

سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى مُخَالَفَةَ الظَّالِمِينَ الْأَمَرَ: تَبْدِيلًا، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾؛ لِلإِيْمَاءِ إِلَى أَنَّ الْمَخَالَفَ كَأَنَّهُ أَنْكَرَ مَا أَمَرَ بِهِ بِالْكَلِيَّةِ، وَتَظَاهَرَ ادِّعَاءُ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِغَيْرِهِ⁽²⁾.

سِرُّ التَّغْيِيرِ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ:

جَاءَ التَّغْيِيرُ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ مَعَ صَلَاتِهِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ دُونَ (فَبَدَّلَ الظَّالِمُونَ)؛ لِأَنَّ تَعْلِيْقَ الذَّمِّ عَلَى الْوَصْفِ الْأَعْمِّ يَسْتَلْزِمُ الذَّمَّ عَلَى الْوَصْفِ الْأَخْصِّ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْأَحْرَوِيَّةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ «الَّذِينَ ظَلَمُوا» يَصْدُقُ بِمَطْلَقِ الظُّلْمِ، بِخِلَافِ (الظَّالِمِينَ)؛ فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى ثَبُوتِ وَصْفِ الظُّلْمِ لَهُمْ وَكَمَالِهِ فِيهِمْ، فَيَكُونُ تَعْلِيْقُ الذَّمِّ عَلَى الْاسْمِ الْمَوْصُولِ تَعْلِيْقًا لِلذَّمِّ عَلَى الْوَصْفِ الْأَعْمِّ⁽³⁾.

حُسْنُ جَزَاءِ
الْمُحْسِنِينَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

مُجَازَاةُ
الْمُحْسِنِينَ
بِجَزِيلِ الثَّوَابِ
عَلَى يَسِيرِ
الْعَمَلِ

مُخَالَفَةُ الْمَأْمُورِ
بِهِ مَعَ تَبْدِيلِهِ
أَشْنَعُ مِنْ مُطْلَقِ
الْمُخَالَفَةِ

تَعْلِيْقُ الذَّمِّ عَلَى
الْوَصْفِ الْأَعْمِّ
يَسْتَلْزِمُ الذَّمَّ
عَلَى الْوَصْفِ
الْأَخْصِّ بِطَرِيقِ
الْأَوَّلِيَّةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/516.

(2) وهبة الزحيلي، التفسير المنير: 1/168.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/117.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي فِي الصَّلَاةِ:

وقعت الصَّلَاةُ فعلاً ماضياً، فقال سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ دون الفعل المضارع (فَبَدَّلَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ)؛ لأنَّ الفعل الماضي مُفِيدٌ تحقُّقَ وصفِ الظُّلْمِ فيهم.

دلالة تنكير ﴿قَوْلًا﴾:

تنكير ﴿قَوْلًا﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾؛ لإفادة التحقير، فهو قولٌ مردولٌ؛ لكونه قولاً مخالفاً لما أمرهم الله تعالى أن يقولوه.

نُكْتَةُ إِظْهَارِ الْقَوْلِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَوْلًا﴾:

أظهر القول في قوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا﴾، بدلاً من إضماره؛ بأن يَأْتِيَ النُّظْمُ: (فَبَدَّلُوهُ)؛ لدفع توهم أنَّهم بدَّلُوا لفظ (حِطَّةً) خاصةً، وأنَّ ما عداها ممَّا قيلَ لهم قد امتثلوه⁽¹⁾.

بَلَدَغَةُ الْإِكْتِفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾:

في قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ اكتفاءً بذَكَرِ تبديل القول عن تبديل الفعل، وإلا فإنَّهم بدَّلُوا القول والفعل معاً، وتقديره: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ بقولٍ غيره، وبدَّلُوا فعلاً غيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ بفعلٍ غيره⁽²⁾.

وفي هذا الاكتفاء نكتتان:

إحداهما: الإيماء إلى أنَّ تبديل القول وحده موجبٌ لهذا العذاب الشديد؛ فكيف الظنُّ بعذابٍ من بدَّلَ الفعل، وهو أعظمُ؟⁽³⁾

والأخرى: الدلالة على أنَّهم إذا بدَّلُوا القول، وهو أسهلُّ؛ لعدم المشقة في امتثاله؛ فتبدلهم الفعل من بابِ أَوَّلَى، وفيه إشارة إلى أنَّه لم يكن عندهم قابليَّةٌ لِلإِمْتِثَالِ.

تَحَقُّقُ وَصْفِ
الظُّلْمِ فِي بَنِي
إِسْرَائِيلَ

دَفْعُ تَوْهَمِ
اقتِصَارِ التَّبْدِيلِ
عَلَى لَفْظِ (حِطَّةٍ)

مَنْ يُخَالِفِ
الْمَأْمُورَ بِهِ مِنْ
الْقَوْلِ؛ فَهُوَ
مُخَالِفُ الْفِعْلِ
أُخْرَى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/516.

(2) محمّد الأمين السَّنْقِيطِي، الغذب الثَّمِير: 1/115.

(3) الفُشَيْرِي، لطائف الإشارات: 1/580، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/415.

دلالة التَّعْبِيرِ بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ:

الْجَزَاءُ مِنَ
جِنْسِ الْعَمَلِ

عَبَّرَ عن وقوع العذاب عليهم بإنزاله في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ تعظيمًا لشأنه، وأنه مما لا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ، ولِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ إيقاع العذاب عليهم ملائِمٌ لجنس عصيانهم؛ فَإِنَّهُمْ أَمَرُوا بِشَيْئَيْنِ: الدُّخُولِ سُجَّدًا؛ أَي: خاضعين، وسؤالهم رَبَّهُمْ: حَطَّ الْخَطَايَا عَنْهُمْ، فَعُوقِبُوا بِإِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وملاءمته لعصيانهم من وجهين:

أَوَّلُهُمَا: أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِسُؤَالِ اللَّهِ تَعَالَى حَطَّ الْخَطَايَا، وَأَصْلُ الْحَطِّ: إِنْزَالُ شَيْءٍ مِنْ عُلُوٍّ⁽¹⁾، فَلَمَّا لَمْ يَمْتَثِلُوا ذَلِكَ؛ اسْتَحَقُّوا أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ إِنْزَالًا، فَكَانَتْ عِقَابُهُمْ مِنْ جِنْسِ عَصْيَانِهِمْ: إِنْزَالُ بِإِنْزَالٍ.

مِنْ أَنْوَاعِ
الْعُقُوبَةِ
الْمُعَامَلَةِ
بِنَقِيضِ الْقَصْدِ

وَالْآخِرُ: أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِالْدُّخُولِ خَاضِعِينَ؛ فَتَرْفَعُوا وَاسْتَعْلَوْا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ؛ عِقَابًا لَهُمْ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ؛ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ بِأَنَّ النَّازِلَ - إِذَا كَانَ قُوًيًا شَدِيدًا - عَلَى أَحَدٍ مَّا، مِنْ فَوْقٍ؛ دَكَّهُ، فَسَوَّاهُ بِالْأَرْضِ، أَوْ أَدْغَمَهُ فِيهَا.

وفيه أيضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِالْخُضُوعِ طَوْعًا، فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَأَخْضَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى قَهْرًا.

ففي كلا الوجهين مناسَبَةٌ تَخْصُهُ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ:

عَظَمَةُ الْعَذَابِ
الضَّادِرِ مِنَ اللَّهِ
الْعَظِيمِ

في إسناده فعل الإنزال إلى (نَا) المفيدة العظيمة⁽²⁾ في قول الله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾؛ إِيْمَاءٌ إِلَى عَظَمَةِ الْمُنْزَلِ؛ وَهُوَ اللَّهُ ﷻ، وَعَظَمَةُ الْمُنْزَلِ؛ وَهُوَ الْعَذَابُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حط)، والزَّاعِبُ، المفردات: (حط).

(2) محمَّد الأمين السَّنْقِيطِيُّ، العذب النَّمِير: 1/88.

وَيُقَوِّيه تَكْثِيرُ كَلِمَةِ ﴿رَجْزًا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ فَإِنَّ تَكْثِيرَهَا يُرَادُّ بِهِ التَّهْوِيلُ وَالتَّفْخِيمُ⁽¹⁾.

سِرُّ الإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ:

فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إِظْهَارٌ فِي مَحَلِّ الإِضْمَارِ؛ إِذْ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ: (فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْزًا)؛ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالِاسْمِ الظَّاهِرِ فِي صَدْرِ الْآيَةِ عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وَلِذَلِكَ ثَلَاثُ نِكَاتٍ⁽²⁾:

إِحْدَاهُمَا: تَسْجِيلُ مُوجِبِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ؛ فَالرَّجْزُ الْمُنْزَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ الظُّلْمِ.

ثَانِيَهُمَا: الْمُبَالَغَةُ فِي تَقْبِيحِ أَمْرِهِمْ وَتَعْظِيمِهِ.

ثَالِثُهَا: لِئَلَّا يُتَوَهَّمَنَّ أَنَّ الرَّجْزَ عَمَّ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَائِدَةُ ذِكْرِ ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْزَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وَكَانَ ذَلِكَ مُفْهِمًا جِهَةَ الْعُلُوِّ؛ حَقَّقَهُ تَعْظِيمًا وَتَفْخِيمًا⁽³⁾؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

وَلِأَنَّ الْعَذَابَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يُمَكِّنُ دَفْعَهُ، أَوْ يُظَنُّ إِمْكَانُ دَفْعِهِ؛ كَالْعَذَابِ الْوَاقِعِ عَلَى يَدِ آدَمِيٍّ.

الْآخَرُ: مَا لَا يُمَكِّنُ دَفْعَهُ؛ كَالصَّاعِقَةِ وَالْمَوْتِ.

فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذَا الْعَذَابَ ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أَيُّ أَنَّهُ مِنَ الْجَنَسِ الَّذِي لَا يَتَأَتَّى دَفْعُهُ؛ تَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ⁽⁴⁾.

الظُّلْمُ مِنْ
مُوجِبَاتِ حُلُولِ
العَذَابِ

عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى
لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ

(1) محمد علي جميل، صفوة التفاسير: 1/53.

(2) الرَّاغِبِيُّ، مفاتيح الغيب: 3/525، وأبو حَيَّان، البحر المحیط: 1/363، والألوسي، روح المعاني: 1/267، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/516، ومحمد الأمين الشنقيطي، العذب النمبر: 1/118.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 1/402.

(4) الرَّاغِبِيُّ، تفسير الرَّاغِبِ: 1/205.

نُكْنَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ:

اعتیادُ الفِسْقِ
حَتَّى صَارَ طَبْعًا

مجىءُ الفعل مضارعًا في فاصلة الآية ﴿يَفْسُقُونَ﴾ مفيدٌ الاستمرارَ التَّجْدُدِيَّ، ويقوِّيه: ﴿كَانُوا﴾؛ الدَّالَّةُ على تحقُّقِهِم بالفعل وثبوته لهم واستمرارهم عليه.

فدلَّ مجموعُ ذلك على استمرارهم في فسقهم، ودوامهم عليه، وتجددِهِ فيهِم، حَتَّى صارَ الفِسْقُ مِنْ جَمَلَةِ طَبَاعِهِم.

تَوْجِيهِ الْمُتَشَابِهِ بَيْنَ أَفْظَاظِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي سُورَتَيِ الْبَقَرَةِ وَالْأَعْرَافِ:

دِقَّةُ اخْتِيَارِ
الْمُفْرَدَاتِ
وَاشْتِقَاقَاتِهَا بِمَا
يُنَاسِبُ سِيَاقَهَا

وردت قصة أمر بني إسرائيل بدخول القرية في موضعين من سور القرآن الكريم بألفاظ متقاربة: أما الموضع الأول؛ فهو الذي بين أيدينا من سورة البقرة حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فكلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَرِّدُوا الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٩﴾. وأما الموضع الثاني ففي سورة الأعراف حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَرِّدُوا الْمُحْسِنِينَ ٣١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: 161-162].

وعند التدقيق يظهر اختلاف بين ألفاظ القصة في السورتين، وذلك من أحد عشر وجهًا؛ هي⁽¹⁾:

أولًا: في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾؛ فَصُرِّحَ في آية البقرة بالقائل، وهو الله تعالى؛ بإسناد القول إلى ضمير العظيمة الرَّاجِعِ إليه سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾؛ إزالة

(1) البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 74-72، والزَّازِي، مفاتيح الغيب: 527-526/3، وفاضل السَّامِرَاوِي، التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِي، ص: 380-365، وسعد عبد العظيم، استدراك ما فات من بلاغة الآيات للتشابهات، ص: 108.

للإيهام، ولأنه أليق بسياق تعداد النعم؛ إذ آية البقرة جاءت في سياق آيات، عدّد الله تعالى فيها نعمه نعمته نعمته، وصدرها بقوله: **﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾** [البقرة: 40]، إضافة إلى أن الآيات من أول السورة جاءت بالتصريح بالفاعل بضمير العظمة؛ نحو: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾** [البقرة: 34] و**﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾** [البقرة: 35] و**﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾** [البقرة: 38].

أما آية الأعراف؛ فجاءت في سياق تعداد قبائحهم؛ فكان ذلك سبباً للإعراض عنهم، فناسبه بناء الفعل للمفعول؛ لأنهم لا يستحقون التشريف، وأورد **﴿لَهُمْ﴾** فيها؛ نكائية في تبييتهم.

ثانياً: في سورة البقرة: **﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾**، وفي سورة الأعراف: **﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾**؛ أما آية البقرة؛ فجاء فيها الأمر بالدخول مقروناً مع الأمر بالأكل والتطمين برغد العيش، والأكل ورغد العيش إيماءً إلى تحقق المقصود من السكنى بالاستقرار وراحة البال. وأما آية الأعراف؛ فجاء فيها الأمر بالسكنى مع الأكل دون الإشارة إلى الرغد؛ لأنه متحقق من السكنى، إذ السكنى تعدل الدخول والرغد، فالتعبير في الآيتين متساوي الأطراف، وأدمج في الأعراف الدخول والرغد، وعبر عنه بالسكنى.

ثالثاً: في سورة البقرة: **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾**، وفي سورة الأعراف: **﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾**؛ لأن الأول ورد عقب الأمر بالدخول؛ وهو سريع الانقضاء، فيتبعه الأكل، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنه وارد عقب الأمر بالسكنى، وهي الإقامة؛ وذلك ممتد زمنه.

والإتيان بالفاء الدالة على التعقيب في سورة البقرة أدخل في الإكرام، وهو مناسب لسياق الآيات فيها؛ إذ هي واردة في تعداد النعم، بخلاف ما في الأعراف؛ فالآيات في تعداد قبائحهم.

رابعاً: في سورة البقرة: **﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾**، وفي سورة الأعراف: **﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾**؛ فلم يذكر فيها الرغد؛ لأن سياق سورة البقرة في تعداد النعم، وذكر **﴿رَغَدًا﴾** مناسب له؛ لأن كون الأكل واسعاً هنيئاً غير مضيقٍ عليهم فيه من جملة المن، بخلاف ما في الأعراف؛ فإن المقام مقام تقريع وتأنيب، فلم يكن ذكر الرغد مناسباً معه.

ولأنَّ آية سورة البقرة مُصدَّرة بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، بلفظ التَّعْظِيمِ، فَنَاسَبَ ذلك ذِكْرَ الرَّغْدِ؛ لأنَّ عطاء العظيم عظيمٌ، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّ الآية مُصدَّرة بقوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾.

خامساً: في سورة البقرة: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾؛ فالأوَّل -وهو الخطايا- جمعُ كثرةٍ، والثَّانِي -وهو الخطيئات- جمع قَلَّةٍ، ووجه المغايرة بينهما: أنَّ الله تعالى لَمَّا أضاف القولَ إلى نفسه العَلِيَّةِ؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾؛ قرَّنه بما يدلُّ على جوده وكرمه، وهو مغفرة الذُّنُوبِ الكثيرة، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّه لم يُضِفِ القولَ إلى نفسه، وإنَّما قال: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾، فلمَّا لم يُسمِّ الفاعلَ؛ لم يذكُر اللفظ الدَّالُّ على الكثرة.

ولأنَّ سياق آيات البقرة في تعداد النُّعمِ، ولا جَرَمَ أنَّ مغفرة الذُّنُوبِ الكثيرة أدخَلَ في بيان الإنعام والامتنان.

سادساً: في سورة البقرة: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، فقدَّم السُّجُودَ على القول في سورة البقرة؛ وذلك لثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ السُّجُودَ أشرفُ من مطلق القول؛ فكان تقديمُ الأشرفِ أنسبَ لمقام التَّكْرِيمِ. ثانيها: أنَّ تقديم السُّجُودِ في البقرة أنسبُ لسياق آياتها؛ لأنَّ القصَّةَ وردت بعد الأمر بإقامة الصَّلَاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]، و﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 45].

ثالثها: أنَّ الواردَ في سورة البقرة الأمرُ بالدُّخُولِ، فكان تقديم السُّجُودِ أنسبَ؛ لكونه مذكوراً لبيانِ كَيْفِيَّةِ الدُّخُولِ، بخلاف ما في الأعراف؛ فإنَّ المأمُورَ به هو السُّكْنَى لا مجرد الدُّخُولِ.

سابعاً: في سورة البقرة: ﴿وَسَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿سَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161]، وزيادة الواو في البقرة دالٌّ على الاهتمامِ والتَّوْبِيعِ، وهو مناسبٌ لسياقِ الامتنانِ، بعكس ما في الأعراف.

ثامناً: في سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ [الأعراف: 162] - بزيادة: ﴿مِنْهُمْ﴾ - لَأَنَّ أَوَّلَ قِصَّةِ الْأَعْرَافِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّخْصِيسِ بِلَفْظِ (مِنْ)، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]، فَلَمَّا انْتَهتِ الْقِصَّةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ [الأعراف: 162]، فَذَكَرَ ﴿مِنْهُمْ﴾ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ كَمَا ذَكَرَهَا فِي أَوَّلِهَا؛ لِيَكُونَ مَقْطَعُ الْكَلَامِ مُوَافِقًا لِمَطْلَعِهِ، بِخِلَافِ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُذَكِّرْ فِي الْآيَاتِ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تَخْصِيسٌ وَتَمْيِيزٌ حَتَّى يَحْسُنَ ذِكْرُهُ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ.

وَتَمَّ وَجْهُ آخِرُ؛ وَهُوَ أَنَّ ذِكْرَ ﴿مِنْهُمْ﴾ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الظَّالِمِينَ كَانُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بِخِلَافِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ فَلَمْ يُصَرِّحْ بِكَوْنِهِمْ مِنْهُمْ تَكْرِيمًا لَهُمْ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَنْسَبُ لِسِيَاقِهَا.

تاسعاً: في سورة البقرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ [الأعراف: 162]، وَفِي ذَلِكَ نَكْتَتَانِ:

الأولى: أَنَّ الْإِرْسَالَ أَشَدُّ فِي الْعُقُوبَةِ مِنَ الْإِنْزَالِ، وَلَمَّا كَانَ سِيَاقُ آيَةِ الْبَقَرَةِ لَتَعْدَادِ النَّعْمِ؛ ذُكِرَتِ الْعُقُوبَةُ الْأَخْفُ، بِخِلَافِ سِيَاقِ آيَةِ الْأَعْرَافِ؛ فَهُوَ لَتَعْدَادِ قَبَائِحِهِمْ، فَكَانَ الْأَنْسَبُ ذِكْرُ الْعُقُوبَةِ الْأَشَدِّ.

ولأنَّ مُشْتَقَّاتِ الْإِرْسَالِ كَثُرَتْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، فَجَاءَ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الأعراف: 162] مُوَافِقًا لِمَا قَبْلَهُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

عاشراً: في سورة البقرة: ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 162]؛ وَالثَّانِي أَعْمُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ الْعُقُوبَةَ أَعْمُ وَأَشْمَلُ مِنَ الْأَوَّلِ؛ وَهُوَ الْأَنْسَبُ لِمَقَامِ التَّقْرِيعِ.

حَادِي عَشَرَ: فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وَفِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 162]، وَفِي ذَلِكَ نَكْتَتَانِ:

الأولى: أَنَّ الظُّلْمَ أَشَدُّ مِنَ الْفُسْقِ، فَكَانَ أَنْسَبَ لَذِكْرِ إِرْسَالِ الْعَذَابِ ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾. الأخرى: أَنَّ آيَةَ الْبَقَرَةِ ذَكَرَتْ مُوجِبَ حُلُولِ الْعَذَابِ مِنَ الظُّلْمِ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾،

وأكدته بالإظهار في مقام الإضمار: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، فكان الختم بالفسق من باب ذكر بدايات الظلم، فالفسق يريد الظلم، فنَبَّه في كلِّ سورةٍ ما يلائمها.

❁ الفُرُقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

سُجَّدٌ وَسُجُودٌ⁽¹⁾:

أَنَّ جَمَعَ (ساجدٍ) على (سُجَّدٍ) مُشْعِرٌ بالحركة الظَّاهِرَةِ التي تُدرِكُهَا العَيْنُ؛ لأنَّ هذا الجمع (فُعْلٌ) يدلُّ على الحركة الظَّاهِرَةِ، ويدلُّ أيضًا على تكثير القيام بالفعل، ودلالتهُ على الحركة الظَّاهِرَةِ أبرزُ، بخلافِ (السُّجُودِ)؛ فَإِنَّهُ يُطْلَقُ على المصدر، ويُطلق جمعًا لـ (ساجدٍ)، ويدلُّ هذا الجمعُ على السُّجُودِ الظَّاهِرِ والباطِنِ، ولذا قال ابنُ القيم: "السُّجُودُ فِي الْأَصْلِ مصدرٌ، كالخشوع والخضوع، وهو يتناول السُّجُودَ الظَّاهِرَ والباطِنَ و(السُّجَّدُ) فِي جَمْعِ (ساجدٍ) لم يتناول إِلَّا المعنى الظَّاهِرَ، وكذلك الرُّكْعُ، ألا تراه يقول: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: 29]، وهذه رؤية العين، وهي لا تتعلَّقُ إِلَّا بالظَّاهِرِ"⁽²⁾.

فالسُّجَّدُ دالٌّ على مجرَّد الحركة الظَّاهِرَةِ، وقد ورد لفظ (السُّجَّدُ) في القرآن الكريم في أحد عشر موضعًا، كُلُّها تدلُّ على هذا المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا تُثْلِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

أَمَّا (السُّجُودُ)؛ فقد ورد في سِتَّةِ مواضعٍ، منها موضعان، يُرادُ بهما جمع (ساجدٍ)، وهما قول الله تعالى: ﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125]، وقوله سبحانه: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26]، والمقصود: السُّجُودُ الكاملُ الجامع بين الظَّاهِرِ والباطِنِ؛ لأنَّه هو المناسبُ لمعنى التَّطْهِيرِ.

(1) فاضل السَّامِرَائِي، معاني الأبنية، ص: 133-135.

(2) ابن القيم، بدائع الفوائد: 1/66.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، للجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 1، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-52-1

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 1: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغامي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-52-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»